حصانات

# الحجاج بن يوسف الثقفي.. غرائب في القتل وسفك الدماء

#### إعداد: رياض عواد

شهر رمضان المبارك هو شهر الفتوحات والأحداث الجسام في تاريخنا الإسلامي.. وهذه الحلقات نحاول خلالها إبراز أهم الأحداث التي وقعت في هذا الشهر الكريم تلك الأحداث كثيرة ومتنوعة، ما بين معارك إسلامية فاصلة و فتوحات وأحداث إسلامية مهمة تتعلق بمولد أو وفاة أعلام المسلمين، فنعيش خلال الحلقات القادمة مع بعض تلك الأحداث والفتوحات لنقتفى آثارها ونتلمس

> فى الواحد والعشرون من شهر رمضان سنة 95 هجرية الموافق 8 يونيو عام 714 ميلادية توفى الحجاج بن يوسف الثقفي أحد رجالات الدولة الاموية وواحد من مشاهير التاريخ الاسلامي والذي اشتهر بالقوة والعنف فى معاملته الخصوم واعداء الدولة وفي الوقت نفسه اسدى للدولة خدمات جليلة يأتى فى مقدمتها استتباب الامن واستئناف الفتوحات الاسلامية و نقط المصحف الشريف ، ولمّا مات لم يعلم أحد بموته حتى أشرفت جارية، بكت وقالت «ألا أن مطعم الطعام، ومُيتم الأيتام، ومُرمل النساء، ومفلق الهام، وسيد أهل الشام قد مات» ، وكان قد أوصى يزيد بن أبى مسلم أن يدفن سراوأن يخفي موضع قبره، كي لا يتعرض للنبش ومرض الحجاج مرضا غريبا حيث كان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليّها، فأخذ لحمًا وعلقه في خيط وسرحه في حلقة وتركه ساعة، ثم أخرجه وقد علق به دود كثير، وسلّط عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارًا وتدنى منه حتى تحرق

## وصبة الحجاج

وهو لا يحس بها

ترك الحجاج وصيته، وفيها قال: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف: أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه لأسعرف إلا طاعة الوليدبن عبد الملك، عليها يحيا وعليها يموت وعليها بيعث..

ويروى أنه قيل له قيل وفاته: ألا تُتُوبِ؟ فقال: إن كنت مسيئاً فليست هذه ساعة التوبة، وإن كنت محسناً فليست ساعة الفزع. وقد ورد أيضاً أنه دعا فقال: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل

دُفن في قبر غير معروف المحلة في واسط، فتفجع عليه الوليد، وجاء إليه الناس من كل الأمصار يعزونه في موته، وكان يقول: كان أبي يقول أن الحجاج جلدة ما بين عينيه، أما أنا فأقول أنه جلدة وجهى كله.

### مولد الحجاج

أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى (40 – 95 هـ = 660 – 714 مَّ)، قائد في العهد الأموي، وُلدَ وينشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهّر حتى قَلّدَه عبد الملك أمر عسكره. أمره عبد الملك بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف َ إلىَ الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرّق جمّوعه، ّفولاّه عبدُ الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى الكوفة في ثمانية أو تسعة رجال على النَّجائبُ، فقمع الثورة وثبتتُ . له الإمارة عشرين سنة. بني مدينة واسط ومات بها، وأجري على قبره الماء، فاندرس. وكان مُ سَفّاكاً سَفّاحاً مُرْعَباً باتّفاق مُعْظَم المُؤَرّخين. عُرَف بِالمبير

## أي المُبَيد.[1]

هو أبو محمد الحجاج كليب بن يوسف بن الحكم بن أبي عقیل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقیف بن مُنبّه بن بکر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الثقفي.[2]



وُلدَ في منازل ثقيف بمدينة

الطائف، في عـاَم الجماعة 41 هـ. وكان اسمه كُليب ثم أبدَلَهُ بالحجّاج. وأمُّه الفارعة بنت هـمـام بـن عـروة بـن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد. نشأ في الطائف، وتعلّم القرآن والحديث والفصاحة، ثم عمل فى مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه، يعلم الفتية القرآن والحديث، ويفقههم في الدين، لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا، عليه، فقد أشتُهر بتعظيمه للقرآن. كانت الطائف تلك الأيام بين ولاية عبد الله بن الزبير، وبن ولاية الأموين، لكن أصحاب عَبد الله بن الزبير تجبّرُوا على أهل الطائف، فقرّر الحجاج الانطلاق إلى الـشـام[؟]، حـاضرة الخلافة الأموية المتعثرة، التي تركها مروان بن الحكم نهباً بن المتحاربين. قد تختلف الأسيات التى دفعت الحجاج إلى اختيار الشام[؟] مكاناً ليبدأ طموحه السياسي منه رغم بُعد المسافة بينها وبين الطائف، وقرب مكة إليه، لكن يُعتقد أن السّبب الأكبر كراهته لولاية عبد الله بن الزبير. في الشام[؟]، التحق بشرطة الإمارة التي كانت تعاني من مشاكل جمةً، منها سوء التنظيم، واستخفاف أفراد الشرطة بالنظام، وقلة المجندين. فأبدى حماسةً وانضباطاً، وسارع إلى تنبيه أولياء الأمر لكل خطأ أو خلل، وأخذ نفسه بالشدة، فقربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه، ورفع مكانته، ورقاه فوق أصحابه، فأخذهم بالشدة، وعاقبهم لأدنى خلل، فضبطهم، وسير أمورهم بالطاعة المطلقة لأولياء الأمر. رأى فيه روح بن زنباع العزيمة والقوة الماضية،

فقدمه إلى الخليفة عبد الملك

بن مروان، وكان داهية مقداماً،

جمع الدولة الأموية وحماها

لاالاختيار

من السقوط، فأسسها من جديد.

إذ أن الشرطة كانت في حالة

سيئة، وقداستهون جند

الإمارة عملهم فتهاونوا، فأهم

أمرهم عبد الملك بن مروان،

وعندها أشار عليه روح بن

زنباع بتعيين الحجاج عليهم،

فلما عينه، أسرف في عقوبة

المخالفين، وضبط أمور

الشرطة، فما عاد منهم تراخ

ولالهو إلا جماعة روح بن

زُنباع، فجاء الحجاج يوماً على

رؤوسهم وهم يأكلون، فنهاهم

عن ذلك في عملهم، لكنهم لم

طعامهم، فأمر بهم، فحبسوا،

وأحرقت سرادقهم. فشكاه روح

بن زنباع إلى الخليفة، فدعاً

الحجاج وسأله عما حمله على

فعله هذا، فقال إنما أنت من

فعل يا أمير المؤمنين، فأنا يدك

وسوطك، وأشار عليه بتعويض

روح بن زنباع دون کسر أمره.

وكان عبد الملك بن مروان قد

قرر تسيير الجيوش لمحاربة

الخارجين على الدولة، فضم

الحجاج إلى الجيش الذي قاده

بنفسه لحرب مصعب بن الزبير.

ولم يكن أهل الشام[؟]

يخرجون في الجيوش، فطلب الحجاج من الخليفة أن يسلطه

عليهم، ففعل. فأعلن الحجاج أن

أيما رجل قدر على حمل السلاح

ولم يخرج معه، أمهله ثلاثاً، ثم

قتله وأحرق داره وانتهب ماله،

ثم طاف بالبيوت باحثاً عن

المتخلفين. وبدأ الحجاج بقتل

أحد المعترضين عليه، فأطاعه

الجميع، وخرجوا معه بالجبر

ذُكر أن الحجاج كان قبيح الوجه وصغير الجسد [3]، ولكن كان فصيحاً وبليغاً وخطيبا جباراً [4]، وقد كان ناصبيا يبغض عليا في هوى بني أمية وكان جباراً عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة [5]، وكان حقودًا حسودا كما وصف نفسه لعبد الملك بن

مروان[6]، وبمراجعة سريعة على تاريخه وأفعاله يتضح للباحث بأنه كان سياسيا محنَّكاً وقائداً مدبراً، وكثيراً ما استخدم المكر والخداع لكي ينتصر في حروبه. سيرته وحرب مكة

فى 73 هـ قرر عبد الملك بن مروان التخلص من عبد الله بن الزبير، فجهز جيشاً ضخماً لمنازلة ابن الزبير في مكة، وأمر عليه الحجاج بن يوسف، فخرج بجيشه إلى الطائف، وانتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش، فتوالت الجيوش إليه

حتى تقوى تماماً، فسار إلى مكة

وحاصر ابن الزبير فيها، وقد ضرب الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، وقد ذكر الإمام الذهبي ذلك في السير 4 / 343:أهلكة الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلا، وكان ظلوماً جبارأ ناصبيا خبيثا سافكا للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن، قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير

كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله، فنسبُه ولا نحبه بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء. انتهى في البداية والنهاية /الجزء الثامن/ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين:-

بفتنة ابن الزبير –. لىلة هـلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادي الأول سنة ثلاث وسبعين، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع

الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة، وكان في

وكان مع الحجاج الحبشة، الله في الطاعة.[8]

أعلن الحجاج الأمان لمن

قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه، وأرسل إلى أمه "أسماء بنت أبي بكر" أن تأتيه، فأبت، فأرسل إليها لتأتين أو لأبعثن

ولاية الحجاج الحجاج، وقاتل رغم تفرق على العراق ً أصحابه عنه الذين طمعوا في اسم الحجاج بن يوسف أمان الحجاج[بحاجة لمصدر] منقوش على العملة باللغة فقتل. وكان لابن الزبير اثنتان وسبعون سنة، وولايته تنوف العربية في عام 695 م دامت ولاية الحجاج على عن ثماني سنين، وللحجاج العراق عشرين عاماً، وفيها اثنتان وثلاثون سنة.[9] مات. وكانت العراق عراقين، ولاية الحجاج على الحجاز عراق العرب وعراق العجم، فنزل الحجاج بالكوفة، وكان قد وقد ذكرت تلك الواقعة أيضا أرسل من أمر الناس بالاجتماع

ملثّماً بعمامة حمراء، واعتلى بالكعبة ورميه إياها بالمنجنيق قال الواقدي: حدثني المنبر فجلس وأصبعه على فمه ناظراً إلى المجتمعين في مصعب بن نائب عن نافع من يسحبك بقرونك، فأرسلت وإذلاله لأهل الحرمين، ثم إليه: والله لا آتيك حتى تبعث مولى بني أسد - وكان عالما ولايته على العراق والمشرق



إلى من يسحبني بقروني. فلما

رأى ذلك أتى إليها فقال: كيف

رأيتني صنعت بعبد الله؟

قالت: رأيتك أفسدت عليه

دنياه، وأفسد عليك آخرتك،

وقد بلغنى أنك كنت تعيره

بابن ذات النّطاقين، فقد كان لي

نطاق أغطى به طعام رسول

الله صلى الله عليه وسلم من

النمل ونطاق لا بدللنساء منه

فانصرف ولم يراجعها. وقيل

دخل الحجاج عليها فقال: إن

ابنك ألحد في هذا البيت، وإن

الله أذاقه من عذاب أليم. قالت:

قواما، ولكن قد أخبرنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه

سيخرج من ثقيف كذابان،

الآخــر منهما شـر مـن الأول،

وهو مبير. إسناده قوى وهذا

درس في الصدع بقول الحق

أمام الجبابرة، لا يقدر عليه إلا

من أوتي قوة وشجاعة دين

بعدأن انتصر الحجاج في

حربه، أقره عبد الملك بن مروان

على ولاية مكة وأهل مكة.

وكان وإياهم وأهل المدينة على

خلاف كبير، وفي 75 هـ قدم عبد الملك بن مروان المدينة،

وخطب على منبر النبي صلى

الله عليه و سلم، فعزل الحجاج

عن الحجاز لكثرة الشكايات

في المسجد، ثم دخل المسجد

فيه، وأقره على العراق.

ذىت، كان برا بوالديه،

قال: حصر ابن الزبير عشرة ليلة. وقد ذكرنا فيما تقدم أن

الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في المناسك كما ثبت ذلك فلما استهلت هــذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون

أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك.

فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيرا، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله

سلم من أصحاب ابن الزبير، وأمنه هو نفسه، غير أن عبد الله بن الزبير لم يقبل أمان